الظاهر والباطن

ينبه محيي الدين بن عربي، أحد أئمة الصوفية الكبار، في مقدمة ديوانه: «ترجمان الأشواق»إلى أن الشعر الذي أبدعه شعراء الحب الالهي والوجد الصوفي له ظاهر وباطن، فظاهره غزلٌ يمكن أن ينطبق على الغزل الحسي، ولكن باطنه الهداية إلى أسرار الهيام بالمعارف الإلهية، والواردات الباطنية، والأسرار الجمالية العليا..

كيف نتدبّر الاستشراق؟

«الاستشراق»، أو «Orientalism»، «معرفة» موضوعها الشرق، ينتجها غالباً غير الشرقي عن هذا الشرق، الذي يضيق ويتسع حسب منظور مُنتِج هذه المعرفة المحفوزة بالفضول حيناً، وبالخوف حيناً آخر، والحنين إلى الماضي حيناً ثالثاً، فضلاً عن الحاجة، التي هي أم الاختراع، والتي تفرضها المواجهة العريقة المتجددة بين الشرق من جهة ومجتمعات غير الشرقي من جهة أخرى.

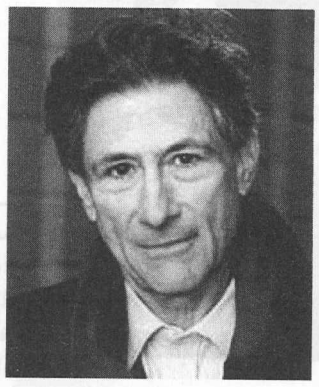

ادوار سعيد

كتب: أ. د.عبد النبي اصطيف

إنه شكل من أشكال المعرفة التي ينتجها «الآخر» الغربي عن الشرق وأهله: تاريخاً وثقافة ومجتمعات، وهو معرفة مُنتَجة أساساً بلغات الغرب لخدمة المجتمعات الغربية، ولذلك فإنها استخدمت باستمرار من جانب الغرب في مواجهاته مع الشرق والوطن العربي والعالم الإسلامي. ولأن موضوعها، الذي هو الشرق، يعاني من مشكلات التخلف والجهل والمرض والفقر، فهو غير قادر على منافستها بإنتاج معرفة بديلة، ولذلك فإنك تراه يعتمد عليها ويترجمها وينشغل بالرد على ما فيها مما يراه مساً بتقاليده الدينية والثقافية والاجتماعية.

ولما كان الغرب يمتلك أساساً مصادر دراسة الشرق (نتيجة عمليات النهب غير المشروع لهذه المصادر من مخطوطات ووثائق وغيرها من خلال القرون الخمسة الماضية) فإنه يتحكم ضمناً بالمعرفة الاستشراقية ويحدد طبيعتها ووظيفتها على النحو الذي يحقق مصالحه. ومعنى هذا أن علينا، إذا ما أردنا بحق تدبّر هذه المعرفة، ومواجهتها مواجهة إيجابية مجدية، أن نمتلك بداية مصادر دراسة تاريخنا وثقافتنا ومجتمعنا، وأن نجمع هذه المصادر في مكتبات تقي بحاجات الباحثين فيما نذروا أنفسهم له من مهمات علمية، وأن نؤهّل بعد ذلك الموارد البشرية للقيام بالأبحاث الضرورية التي تنهض بمجتمعاتنا وتحقق لها التنمية الشاملة المرجوة في أقصر مدة ممكنة، وأن نشجع الباحثين، منتجي المعرفة التي يحتاجها مجتمعنا، بشتى الوسائل والسبل، لا أن نضيق عليهم، ونبخسهم حقوقهم، ونطفئ جذوة الإبداع في نفوسهم. لأن الأمن المعرفي هو القاعدة التي يستند إليها أمن المجتمع السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولذا فإنه ينبغي أن يقع في أعلى درجة من سلّم أولوياتنا في هذا العصر، عصر المعرفة والمعلومات.

والحقيقة أن الغربيين أنفسهم، ولاسيما بعد نشر كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد عام 1978، وما ولّده من نقاشات لم تكد تنتهي، ولا أظنها ستنتهي في المستقبل المنظور، رأوا أنفسهم مجبرين على إعادة النظر في هذه المعرفة بغرض تطويرها من ناحية، وتجاوز وجوه القصور فيها من ناحية أخرى، حتى يبقوا على رابط التبعية الفكرية بينهم وبين الشرق، والتي نراها في كل مجالات حياتنا، حتى بات الغرب بالنسبة لنا المثال والمآل. ومعنى هذا أننا يمكن أن نرصد ما يطرأ على الدراسات الاستشراقية من تحولات إيجابية ونفيد منها في مقاربتنا لموضوعات بحوثنا في تاريخنا وثقافتنا ومجتمعاتنا، ولاسيما ما اتصل منها بالمناهج التي تُسائِل النزعة المركزية الغربية Eurocentrism وتسعى إلى زعزعتها وتجاوزها من خلال مقاربة القضايا والمشكلات الإنسانية مقاربة إنسانية تفسح المجال واسعاً لأصوات الضواحي والأطراف والمحيط التي طالما هُمِّشت وقُمِعَت بحجة تخلفها وانحيازها لذواتها وقصورها المعرفي، وتقليدية مناهجها.

> الغرب يمتلك أساساً مصادر دراسة الشرق (نتيجة عمليات النهب غير المشروع لهذه المصادر من مخطوطات ووثائق)

وثمة خيار يمكن أن نلجأ إليه، ونختبر به مدى جِدّية الغرب في تطوير الدراسات الاستشراقية، وهو إقامة شراكة معرفية بيننا وبينه، غايتها إنتاج معرفة أسمى بالشرق وثقافاته وتواريخه ومجتمعاته: شراكة تقوم على جهود طليعة العلماء والباحثين في مختلف بلدان الشرق والغرب معاً، وتهدف إلى الارتقاء بمستوى ما ينتج من معرفة تسهم في تنمية مجتمعات موضوعها (الذي هو الشرق)، وتساعد على بناء علاقة سويَّة بين مجتمعات الشرق والغرب، أساسها الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة والسعي إلى تحقيق المزيد من التقدم الإنساني الحقيقي الذي يشمل جميع سكان عالمنا الأرضي، وتكسر بذلك احتكار المعرفة الذي يمارسه الغرب منذ عصر النهضة، وتجعل المعرفة الإنسانية، الناجمة أساساً عن شراكة، قامت ولا تزال بين الأمم والجماعات، في خدمة الإنسانية كلها.

كتبت: د. هيفاء بيطار

كلمة السّر

أعترف بجهلي ببلد اسمه جنوب افريقيا ، بالكاد أعرف اسمه وموقعه على الخريطة . لذا فحين التقيت بمبدع من جنوب افريقيا واسمه نك ميلونغو ، وهو روائي وكاتب سيناريو أحسستُ بالحرج ، ويبدو أنه أحس بحرج مماثل فهو لا يعرف شيئاً عن سورية . فسألني ما اسم عاصمة سورية ، ووجدتني أسأله بدوري ما عاصمة جنوب افريقيا فقال كاب تاون ، فكان رد فعلي العفوي : كويتزي ، أنت من بلد الكاتب الرائع كويتزي الذي أبدع رواية الخزي ، وحصل على نوبل.

للحال زالت الحواجز بيننا ، وتدفق الحديث عن أعمال كويتزي ... كان لكويتزي قوة سحرية في إزالة حواجز كثيرة بين كاتبين كانا بالنسبة لبعضهما كصندوقين مُغلقين.

كتاب آخر هو بجعات برية للكاتبة الصينية يونغ تشانغ ، كان له مفعولاً سحرياً في إزالة إرتباك وحواجز كثيرة بيني وبين كاتبة صينية ... في الواقع التعارف مُربك، خاصة بين أناس يلتقون للمرة الأولى ، وكل من بلد وثقافة مختلفة عن الآخر، وكل يَحمل كماً من التجارب المختلفة ... لذا فإن إيجاد وصفة سحرية تبدد تلك الحواجز بومضة برق يبدو أمراً أشبه بمعجزة ، والذي يحقق تلك المعجزة هم المبدعون ... إن ذكر اسم رواية أو اسم كاتبها قادر على صهر كل اختلاف وإحساس بالغربة بين الناس .

كاتب آخر من الأرجنتين ، حين عرف أنني عربية ، قال للحال: نجيب محفوظ...

وأخبرني أنه قرأ الثلاثية وأبهرته ... وأنه قرر أن يزور مصر بعد قراءته الثلاثية ، وفعلاً سافر إلى مصر ، وشعر أنه عرفها أو زارها من قبل ، لأنه تعرّف عليها من خلال ثلاثية نجيب محفوظ...

إن هؤلاء المبدعين هم أصدق من يعبّر عن أوطانهم ، ألم تقدم ثلاثية نجيب محفوظ أعمق وأصدق صورة عن المجتمع المصري بتحولاته خلال أكثر من نصف قرن ... ألا تُغني قراءتها عن قراءة أطنان من كتب علم الاجتماع لفهم المجتمع المصري.

> إن هؤلاء المبدعين هم أصدق من يعبّر عن أوطانهم

أو ليست رواية بجعات برية التي تحكي عن التحولات التي طرأت على نظام الحكم والحياة الاجتماعية في الصين من خلال رصد وسرد حياة ثلاثة أجيال الجدة والابنة والحفيدة هي أصدق صورة لفهم ومعرفة ما حدث في الصين في تلك الفترة.

ومن يريد أن يتحدث عن روسيا منذ قرن ، ألا يتفتق بذهنه للحال اسم دوستويفسكي وتولستوي ...

أليس الأدب هو الذي يخلّد روح المجتمع وينقلها من جيل إلى جيل ... أليس الأدب هو الذي يؤسس ما نسميه حوار الحضارات ، وحوار الثقافات ...

في مؤتمر الكتابة العالمي الذي حضرته في جامعة أيوا في أميركا، والذي ضمّ أكثر من ثلاثين كاتباً وكاتبة من جنسيات مختلفة ، كانت كلمة السر التي تزيل الحواجز بين الكتاب هي أسماء مبدعين، وأسماء كتب مشهورة وخالدة.

إن ما حكاه لي كاتب السيناريو من جنوب افريقيا عن الحياة والعقلية في تلك البلد كنتُ أعرفه تماماً من خلال كتب كويتزي ...

أليس هؤلاء المبدعون هم سفراء بلادهم ، وأصدق من يعبّر عنها... إننا ننسى أسماء سياسيين ، وأبطال حروب ، لكننا لا ننسى أسماء مبدعين ...

من يتذكر اسم الحاكم في زمن بيكاسو ، أو فان كوخ أو دوستويفسكي؟!

وهنا لا يمكنني سوى الإصرار والتأكيد على دور الترجمة في فتح آفاق بين الثقافات والشعوب ، فكم من مبدعين يستحقون أن تترجم أعمالهم لتكون سفيرة النوايا الحسنة والصادقة لبلادهم.

الشاعر نديم محمد ..فارس لن يترجل

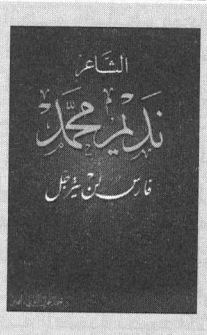

صدر كتاب جديد للباحث الدكتور أحمد عمران الزاوي بعنوان «نديم محمد فارس لن يترجل» فنديم محمد أحد أعلام المدرسة الكلاسيكية الحديثة في الشعر العربي المعاصر.. حاول هذا الكتاب أن يرصد حياته وشعره وأهم الموضوعات الشعرية التي دارت حولها قصائده ودواوينه.

وضم الديوان أخباراً عن الشاعر وآرائه في الشعراء وبعض هجائياته ومعارضاتها لأبناء جيله لخص حياته بهاتين العبارتين: «عشت عمري منصفاً للجار والصديق والقريب ولكنني لم أنصف من أحد». فهل أنصف هذا الكتاب شاعرنا الكبير نديم محمد؟!.

يقع الكتاب في /450/ صفحة من القطع الكبير وتصميم الغلاف للفنان ماجد عيسى.